﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ١٤﴾ [الأحزاب: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا أظهرَ المنافقون بالِغَ عنايتِهم بدورِهم؛ فرّوا منها خوفًا مِنَ القتل

لَمّا كانت عنايةُ المنافقين مَشتدَّةً بملازمةِ دورهم، فأظْهروا اشْتدادَ العنايةِ بحمايتِها زورًا؛ بيَّن اللّهُ ذلك، ودلَّ عليه بالإسنادِ إلى الدّور؛ تنبيهًا على أنَّها ربَّةُ الحمايةِ والعُمدةِ، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾، أي: من جوانبِ بيوتِهم، ثمَّ سُئِلوا الخروجَ منها فارّين بأنفُسِهم؛ لَخرجوا دونَ تَرَيُّثٍ خوفًا من القتل[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَقۡطَارِهَا﴾: (قطر) هَذا بابٌ غَيْرُ مَوْضوعٍ عَلَى قياسٍ، وكَلِمُهُ مُتَباينَةُ الأُصولِ[2]، والقطر: الناحيةُ والجانبُ، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرّحمن: 33]، أي: نواحيها وجوانبها، وقولُه تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾، أي: جوانبِ المدينة[3]، أو جوانبِ البيوت[4].

2) ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾: (فتن) أَصْلٌ صحيحٌ يدُلُّ على ابْتلاءٍ واخْتبار، من ذلك الفِتْنةُ، يقالُ: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا، وفَتَنْتُ الذَّهبَ بالنّار؛ إذا امْتحنتَهُ لتظهرَ جودته من رَداءتِه، واسْتُعمِل في إدخالِ الإنسانِ النّارَ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ [الذّاريات: 13]، والفَتْنُ: الإحراقُ، ومنه إحراقُ الذَّهبِ بالنّار، ويُقالُ للحَرَّةِ: فتينٌ، كأنَّ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308 - 309.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطر).
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 337.
(4) الزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 220.

حجارتَها مَحْرَقةٌ، وجُعلَتِ الفتنةُ كالبلاءِ في أنَّهما يُستعمَلانِ فيما يُدفَعُ إليه الإنسانُ من شدَّةٍ ورخاءٍ، وهما في الشِّدَّةِ أظهرُ معنًى وأكثرُ اسْتعمالًا، وقد قال اللهُ تعالى فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35][1].

3) ﴿تَلَبَّثُواْ﴾: (لبث) حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَكُّثٍ[2]، لَبِثَ بالمكانِ: أقامَ به مُلازِمًا له، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [العنكبوت: 14][3]، وتلبَّثوا بمعنى: أقاموا[4]، واللُّبث: ملازمةٌ للمكان ممتدَّة، أو المكثُ في المكان لزمان ما، فيُقال: لبث طويلًا، أو لبث في بلد كذا، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ﴾، أي: ما أُحبِسوا مِنَ الإجابةِ إلى الكفرِ[5]، أو: ما أقاموا بالمدينةِ إلّا يسيرًا بعد إعطاءِ الكفرِ حتَّى يهلكوا[6].

4) ﴿يَسِيرًا﴾: (يسر) أصلانِ يدلُّ أحدهُما علَى انفتاحِ شَيءٍ وخفَّتِه، والآخَرُ عَلَى عُضوٍ مِنَ الأعضاءِ[7]، واليُسْرُ بسكونِ السّين وضمِّها: السُّهولةُ، وهو ضدُّ العُسْر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ثم استُعْمِلَ في القليل لسهولتِه، واليَسيرُ: الشَّيء السَّهل الهيِّنُ القليلُ، وتيسَّرَ كذا، واسْتَيْسَرَ، أي: تسهَّلَ، كما قال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزّمّل: 20]، و(اليسيرُ) يقال في الشَّيءِ الهيِّن السَّهل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحجّ: 70]، و(اليسيرُ) يقالُ في الشَّيءِ القليل[8]، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: قليلًا[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ اللهُ تعالى عن هؤلاءِ الَّذين يقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أنَّهم لو دخلَ عليهمُ الأعداءُ من كلِّ جانبٍ من جوانبِ المدينة، وقُطْرٍ مِن أقْطارِها، ثمَّ سُئِلوا الفتنةَ، وهي

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (فتن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لبث).
(3) الرَّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (لبث).
(4) الفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 337، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 349.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 11/ 136.
(6) ابن الجوزي، زاد المسير: 6/ 362، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 150.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يسر).
(8) الفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 337، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 349، وابن جرير، جامع البيان: 11/ 136، وابن الجوزي، زاد المسير: 6/ 361.
(9) الرَّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (يسر).

الدُّخولُ في الكفر؛ لكفروا سريعًا، وهم لا يُحافِظون على الإيمان، ولا يَستمسِكونَ به مع أدْنَى خَوْفٍ وفزَع، وهذا ذمٌّ لهم في غايةِ الذَّمِّ[1].

مَـنِ اغْـتَـنى بـالإيـمـانِ في قـلـبـهِ؛ كُـفِـيَ هـمَّ دارِه، ومَن نـافـق؛ خسر إيمانَهُ ودارَهُ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطفِ بالواو في قوله: ﴿وَلَوْ﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ عاطفةٌ، وهي تفيدُ زيادةَ تقريرِ الجملةِ الَّتي قبلَها وتأكيدِها: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾، فإنَّها لتكذيبِهم في إظهارِهمُ التَّخوُّفَ على بيوتِهم، ومُرادُهم خَذْلُ المسلمين[2].

فائدةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الشَّرطيَّة:

تـأكـيـدُ كـذِب الـمـنـافـقـين وحـرصِـهـم على الكَيْدِ للمسلمين

(لو) في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ أداةُ الشَّرط، و﴿سُئِلُوا﴾ فعلُ الشَّرط، و﴿لَآتَوْهَا﴾ اللّامُ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ (أتَوْها)[3]، والتَّعبيرُ بهذه الجملةِ بدءًا بأداتِها (لو) - الَّتي تفيدُ امْتناعَ تحقُّقِ الجوابِ لامْتناعِ وجودِ فعلِه - يفيدُ أنَّ ما نُسِبَ إليهم من قولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ما هو إلّا مَحضُ كَذِبٍ وزور، وأنَّهم يدفعونَ بحُجَّةٍ واهيةٍ، وأنَّ مدارَ أمرِهم قائمٌ على إتْيانِ الفتنة، أيْ: فتنتِهم للمسلمين بالكَيْدِ لهم وإلقاءِ التَّخاذلِ في جيشِهم[4].

سرُّ مجيءِ (لو) دون بقيَّةِ أدوات الشَّرط:

امـتـنـاعُ إتـيـانِ الـسُّـرّاقِ بيوتَ المنافقين لامتناعِ دخـولِ الأحـزابِ المدينةَ

(لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ تفيدُ امْتناعَ تحقُّقِ الجواب ﴿لَآتَوْهَا﴾؛ لامتناعِ وجودِ فعلِه، وهو الدُّخولُ، وهي هنا تعني: تأكيدَ أنَّ ما يدَّعيه المنافقون مِن انْكِشافِ بيوتِهم وخوفِهم عليها من السُّرّاقِ إن هو إلّا كذِبٌ وزورٌ، حيث لم يدخلِ الأعداءُ المدينةَ، وأنَّ إرادتَهم متوجِّهةٌ لإثارةِ الفتنةِ في جيشِ المسلمين[5].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 442.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 286.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287، ودرويش، إعراب القرآن: 7/ 614.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287 - 288.

نكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿دُخِلَتْ﴾ لما لم يُسمَّ فاعلُه:

المجهولُ في حقِّ المنافقين مناسبٌ لجهالةِ حُجَّتِهم في حمايةِ دورِهم

بناءُ ﴿دُخِلَتْ﴾ لما لم يُسمَّ فاعلُهُ مُقتضٍ فاعلًا محذوفًا، فالمُرادُ: دخولُ الدّاخلينَ على أهلِ المدينة، كما جاءَ على الأصلِ في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ [المائدة: 23]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم لَمّا أظْهروا اشْتدادَ العنايةِ بحمايةِ دورِهم - كذِبًا - بيَّن اللّهُ ذلك، ودلَّ عليه بالإسنادِ إلى الدّور تنبيهًا على أنَّها ربَّةُ الحماية والعُمدة[1]، وأُسنِدَ فعلُ ﴿دُخِلَتْ﴾ إلى ما لم يُسمَّ فاعلُهُ؛ لظهورِ أنَّ فاعلَ الدُّخولِ قومٌ غُزاة[2]، وهذا معلوم بدلالةِ الحالِ.

نكتةُ تأنيثِ الفعلِ ﴿دُخِلَتْ﴾:

أنَّثَ النَّظمُ الكريمُ الفعلَ ﴿دُخِلَتْ﴾؛ نصًّا على الدُّخولِ إلى الدّورِ، وإشارةً إلى أنَّ ما يُنسَبَ إليهم جَديرٌ بالضَّعف[3]، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ حججَهم الَّتي قالوها واهيةٌ.

نكتةُ تعديةِ الدُّخولِ بحرفِ الاستعلاء:

دخولُ الأعداءِ دخولُ غَلَبةٍ وتَسَلُّط

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بأداةِ الاسْتعلاءِ (على) في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾ إشارةٌ إلى أنَّه دخولُ غَلَبَةٍ وقهرٍ وتسلُّط[4]، فهو يُعدَّى غالبًا إلى المغزوّين، فهو ليس دخولَ ضيافةٍ أو تجوُّلٍ أو تجسُّس[5]، وفيه كذلك إشارةٌ إلى فرضِ وجودِهم في تلكَ البيوت[6]، أي: عليهم، وهم في دورهم.

نكتةُ تقديمِ ﴿عَلَيۡهِم﴾ على قوله: ﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾:

الاهتمامُ بدخولِ دورِهم، وهم فيها

في تقديمِ ﴿عَلَيۡهِم﴾ في قوله تعالى: ﴿دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ إشارةٌ جَليَّةٌ على أنَّ الاهتمامَ مُنْصَبٌّ في حُجَّتِهم الكاذبةِ على تلك

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 158.

البيوتِ في خلوِّها ممَّن يدافعُ عن أهلِها وعَنْها، وفيه إشارةٌ كذلكَ إلى أنَّ المُرادَ فَرضُ دخولِها، وهم فيها، لا فرضُ دخولِها مُطلقًا[1].

بلاغةُ الضَّميرِ في ﴿دُخِلَتْ﴾:

الجمعُ بينَ دخولِ البيوتِ ودخولِ المدينة

في عَودِ الضمير المُستتر في قولِه تعالى: ﴿دُخِلَتْ﴾ قولان: **أحدُهما:** أنَّ المُرادَ المدينة، أي: ولو دُخِلَتِ المدينةُ مِن أقْطارِها[2]؛ لأنَّ لفظَ الأقطارِ يُناسبُ المُدُنَ والمواطنَ، ولا يُناسبُ البُيوت، فيصيرُ المعنَى: لو دخلَ الغُزاةُ عليهمُ المدينةَ، وهم قاطنونَ فيها[3]، **والثّاني:** البيوتُ، كما هو الظّاهرُ؛ إذْ هو أقربُ مذكورٍ، أي: لو دخلَ كلَّ مَن أرادَ الدُّخولَ مِن أهلِ الدَّعارةِ والفسادِ بيوتَهم، وهم فيها من أقطارِها[4]، والقولانِ سائغانِ في بيانِ المعنَى المراد، فالجمعُ بينهما أوْلى مِن إفرادِ أحدِهما دونَ الآخرِ، ولأنَّ دخولَ البيوتِ دخولٌ للمدينةِ؛ لأنَّها واقعةٌ فيها.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِّنْ﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ بيانيَّةٌ، أيْ: ولو دُخِلَتِ المدينةُ أو بيوتُهم من أيِّ داخلٍ من كلِّ وجهاتها[5].

دلالةُ جمعِ القلَّةِ في (الأقطار):

قلَّةُ الجهاتِ الَّتي يمكنُ دخولُ العدوِّ منها إلى المدينة

حظيتِ المدينةُ بالحماية الرَّبّانيَّةِ من خلال الجبالِ البركانيَّةِ التي تحيط بأكثرِها، ولا يمكنُ دخولُ المدينةِ إلّا مِن جهتين: جهةِ الشَّمال الغربيِّ الَّذي هو طريقُ القوافل والجيوش، وطريقٌ ضيِّقةٌ من جهة الجنوبِ التي كان يسيطر عليها اليهودُ، وما عدا ذلك لا يستطيعُ راكبٌ ولا راجل أن يدخلَ المدينة، لوجودِ حجارةِ الجبالِ الحارَّة المدبَّبة التي لا يستطيع رَجلٌ ولا دابَّةٌ المشي عليها.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 158.
(2) الفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 337، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 374.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287.
(4) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 4/ 220، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 8/ 461، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 158.
(5) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308.

دلالةُ إضافةِ الجمع إلى الضَّمير: ﴿أَقْطَارِهَا﴾:

بيانُ مدى خوفِ المنافقين وذُعرهم

مِن صيغِ العموم إضافةُ الجمعِ إلى المعرفة، فكأنَّ المدينةَ لو كان لها مئةُ ناحيةٍ وجانبٍ وطريقٍ يمكن أن يدلَّ منها، ودخلت عليهم من كلِّ أقطارِها، وإنَّما جيءَ بلفظ العموم هكذا ليصوِّرَ الخوفَ والفزع في قلوبِ المنافقينَ؛ إذ لا يمكنُ لجيش أن يدخلَ المدينةَ إلّا مِن جهةٍ واحدةٍ كبيرةٍ وجهةٍ أخرى صغيرةٍ، ومع ذلك تصوَّروا أنَّ المدينةَ لها جوانبُ كثيرةٌ ونواحٍ متعدِّدةٌ يمكن أن يدخلَ المشركون إليها منها، فالعمومُ هاهنا مع قلَّة الطُّرق المؤدّية إلى داخلِ المدينةِ هو في خيال المنافقينَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالأقطارِ وإضافتِها إلى ضميرِ المدينة:

اشْتدادُ خوفِ المنافقين مِن دخولِ الأحزابِ المدينةَ

جاءَ التَّعبيرُ بالأقطارِ وإضافتِها إلى ضميرِ المدينةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾؛ لإفادة العموم، وللدَّلالةِ على اشْتدادِ الخوفِ الحقيقيِّ في قلوبِ المنافقين[1]، وأنَّ هذا الخوفَ - بسبب ضعفِ الإيمانِ المُسْتشري في قلوبِهم - وصلَ إلى درجةِ اعتقادِهم أنَّ الأحزابَ سيلتَهمونَ المدينةَ، وكأنَّها لقمةٌ سائغةٌ، وسيُدمِّرون بيوتَهم، ويسرِقون أموالهم، ويحصدون زروعَهم، كأنَّها لم تَغْنَ بالأمْسِ.

بلاغةُ التعبيرِ بـ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾:

لَمّا كان قصدُ الفرارِ مع الإحاطةِ بالدّارِ من جميعِ الأقطار دون الاسْتقتالِ؛ للدَّفعِ عنِ الأهلِ والمال بعيدًا عن أفعالِ الرِّجال؛ عبَّرَ بـ﴿ثُمَّ﴾ الَّتي تفيدُ التَّراخي مع التَّرتيبِ الرُّتَبي[2]، فقال: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾.

نكتةُ العدولِ عنِ الواوِ إلى ﴿ثُمَّ﴾:

التَّنبيهُ على أنَّ ما بعد (ثمَّ) أهمُّ ممّا قبلَها

كان مقتضى الظّاهرِ أن يُعطفَ بالواوِ لا بـ﴿ثُمَّ﴾؛ لأنَّ المذكورَ بعد ﴿ثُمَّ﴾ هنا داخلٌ في فعلِ شرطِ (لو)، وواردٌ عليه جوابُها، فعدَلَ عن

(1) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 374.

(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 287.

الواوِ إلى ﴿ثُمَّ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ ما بعدَ ﴿ثُمَّ﴾ أهمُّ مِنَ الَّذي قبلَها كشأنِ ﴿ثُمَّ﴾ في عطفِ الجُمل، أيْ: إنَّهم مع ذلك يأتونَ الفتنةَ[1].

بلاغةُ القصرِ بالسُّؤال دون الطَّلب: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾:

السّائلُ ضعيفٌ محتاج

عبَّر السياق القرآنيُّ بالسؤال دون غيرِهِ في قوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾، دون غيرِهِ من الأفعال مثل: طلبَ مِنهم، أو أُمِروا بالفتنة؛ للدِّلالة على شدَّة ضعفهم؛ إذ إنَّ السّائل ضعيفٌ محتاجٌ، ومع ذلك لو سألَهُم ضعيفٌ؛ لانصاعوا له، وتبعوا أمرَهُ، مع أنَّهم يقدرون صدَّهُ ومنْعَهُ وقتْلَهُ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ الذي لم يُسمَّ فاعلُهُ ﴿سُئِلُواْ﴾:

استعدادُ المنافقينَ التّامُّ لإجابةِ أي داعٍ للفتنةِ

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المبنيِّ للمجهول ﴿سُئِلُواْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ المنافقينَ على اسْتعدادٍ تامٍّ أنَّه لو دخلَتْ جيوشُ الأحزابِ المدينةَ، وبقيَ جيشُ المسلمين خارجَها - أيْ: مثلًا؛ لأنَّ الكلامَ على الفَرضِ والتَّقدير - وسألَ الجيشُ الدّاخلُ الفريقَ المُسْتأذِنينَ أن يُلْقوا الفتنةَ في المسلمينَ بالتَّفريقِ والتَّخذيلِ؛ لخرَجوا لذلك القصدِ مُسرعين، ولم يُثبِّطْهُمُ الخوفُ على بيوتِهم أن يدخُلَها اللُّصوصُ، أو يَنْهَبَها الجيش[2]، ولو سألوهم إعلانَ الكفرِ الصَّريح؛ لأجابوهم في الحال دونَ أن يدافعوا عنِ الأعراضِ والأموال الَّتي في البيوتِ.

بلاغةُ (أل) في ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾:

اتِّساعُ المعاني الَّتي تدلُّ على ضعفِ المنافقين

(أل) التَّعريف في ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ للعهد، وتفيدُ الدِّلالةَ على ما عُهِدَ من حرصِ المنافقين على القيامِ بالفتنةِ في صفوفِ المسلمين، وخاصَّةً في الغزوات، وذلك بالكيدِ لهم وإلقاءِ التَّخاذلِ في جيشِهم[3]، أو للجنس أو للاستغراق، أي: لو سُئِلوا أيَّ فتنةٍ من جنس الفتنِ؛ لآتَوها، أو سُئِلوا كلَّ أفرادِ الفتن؛ لآتَوها.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.

بلاغةُ اللّام في ﴿لَأَتَوْهَا﴾:

اللّامُ في قوله: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ رابطةٌ لجوابِ الشرط، وتفيدُ تحقُّقَ إتيانِهم للفتنة، بل مسارعتَهم للقيامِ بها، وإتيانِها في أيِّ مكانٍ وأيِّ مَظِنَّة[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في إتيانِ الفتنة:

المسارعةُ في طاعةِ مَنْ يطلبُ الفتنةَ والقيامَ بها

الإتيانُ: القدومُ إلى مكانٍ ما، والفتنةُ ليست أمرًا حسّيًا يُؤتَى، وإنَّما هو استعارةُ الإتيانِ للفتنة - وهي أمرٌ معنويٌّ - يفيدُ المبالغةَ في التَّشبيه، وقد أشعرَ هذا الفعلُ ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بأنَّهم يخرجونَ من المدينةِ الَّتي كانوا فيها؛ ليفتِنوا المسلمين، ويَكيدوا لهم بإلقاءِ التَّخاذلِ في قلوبهم، وتثبيطِهم عمّا هُم بصددِه مِنَ الاستعدادِ لقتالِ الأعداء[2]، أو يخرجون من الدين ظاهرًا وباطنًا، ويعلنون الظَّفرَ الصَّريح، وفي هذا التَّعبيرِ في إتيانِ الفتنةِ كنايةٌ عن إطاعتِهم واتِّباعهم في المسارعةِ في بذلِ ما يحقِّقُ قيامَ الفتنةِ بين المسلمين[3]، بإلقاء التَّخاذل في قلوبِهم أو بإعلانِهم الكفرَ.

بلاغةُ القراءاتِ المتواترةِ في ﴿لَأَتَوْهَا﴾:

لو سُئِلَ المنافقون الفتنةَ لأعْطَوْها وفعلوها

في قولِه تعالى: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ قراءتانِ متواترتانِ[4]، الأولى: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بالمدِّ، والثّانية: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بالقَصْر، وقولُه: ﴿لَأَتَوْهَا﴾، أي: لَما امْتنعوا منها، ولأعْطَوْها، وقولُه: ﴿لَأَتَوْهَا﴾، أي: لجاؤوها وفعلوها أو قصدوها، وحُجَّتُهم أنَّ الإعطاءَ مع السُّؤال حَسَنٌ، أي: لو قيلَ لهم: كونوا على المسلمين مع المشركين؛ لفعلوا ذلك، ولو دُعوا إلى الشِّرك؛ لَأجابوا، وأعْطَوْها[5]، قال أهلُ المعاني: هذا إخبارٌ عن ظهورِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 158.
(4) الثانية قراءة نافع، وابن كثير، وأبي جعفر، والأولى قراءة الباقين، يُنظر: ابن زنجلة، الحجّة، ص: 574، والداني، التَّيسير، ص: 178.
(5) ابن زنجلة، الحُجّة، ص: 574 - 575، والفرّاء، معاني القرآن: 2/ 337، والزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 220، ومكّيّ، الكشف: 2/ 196.

فضيحتِهم، وعدمِ نُصرَتِهم عند وقوعِ الشِّدَّةِ بإبداءِ المكتوم، وإعطاءِ الفتنة، وإظهارِ الرِّدَّة[1].

بلاغةُ العطفِ بالواو في ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ﴾:

تـأكـيـدُ إتـيـانِ المنافقين للفتنةِ وخُـلـوِّهـم عن أفعالِ الرِّجال

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ﴾ عاطفةٌ جُملتَها على جملة ﴿لَأَتَوۡهَا﴾، وهي تفيدُ تأكيدَ إتيانِ المنافقين للفتنةِ ومسارعتِهم إليها مع ما وقعوا فيه من شرٍّ وبيلٍ - ممّا يُعدُّ عارًا في أخلاقِ العربِ وعُرفِهم الأصيل - وهو الفرارُ من القتالِ للدَّفعِ عن الأهلِ والمالِ والدّيار؛ بعيدًا عن أفعالِ الرِّجال، وهي أشدُّ فتنةً، حيث لا يُخرِجُ الإنسانَ من بيتِه إلّا الموتُ، أو ما يقاربُه كان كأنَّه لا فتنةَ سواهُ، فكيفَ بالمسارعةِ لإتيانِ ذلك؟[2].

بلاغةُ القَصْرِ في: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾:

قـصـرُ المنافقين على صفةِ إتيانِ الفتنةِ دون تأخُّرٍ ألبتة

في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ قَصَرَ النَّظمُ الكريمُ التَّلبُّثَ بالفتنةِ على الوقتِ القليلِ، كما دلَّتْ عليه ﴿إِلَّا﴾ الَّتي هي أداةُ حَصْرٍ بعد النَّفي، وهذا القَصْرُ إضافيٌّ لوجودِ صفاتٍ أُخَرَ في المنافقين غيرِ هذه الصِّفة، وهو قصرُ موصوفٍ على صفة، فصفةُ التَّعجُّلِ في إتيانِ الفتنةِ وفعلِها وإعطائها من صفاتِ المنافقين وحدهم[3]، وذلك لبيانِ أنَّهم مسرعونَ إلى الفتنةِ راغبونَ فيها، لا يقفونَ عنها إلّا مجرَّد وقوعِ السُّؤالِ لهم، وكذلك فيه إظهارُ ما قام عليه نفاقُهم، وهو أنَّهم إذا دُعوا إلى الحقِّ؛ تعلَّلوا بشيءٍ يسيرٍ هرَبًا منه، وإن دُعوا إلى الباطلِ؛ سارعوا إليه من غيرِ صارفٍ يَلْويهم ولا عاطفٍ يُثنيهم[4]، وما ذلك إلّا لمَقْتِهمُ الإسلامَ وشدَّةِ بغضِهم لأهلِه، وحبِّهمُ الكفرَ وتَهالُكِهم على حزبِه[5].

(1) النَّحاس، معاني القرآن: 5/ 334، والفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 337، والزَّجَّاج، معاني القرآن: 4/ 220.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 308 - 309.
(3) فضل، أساليب البيان، ص: 172 - 173.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 406 - 407، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 351.
(5) الكشَّاف، الزَّمخشري: 3/ 254.

المنافقون مذعورون لا يمكنهم أن يتلبَّثوا

وكذلكَ فإنَّ هذا القَصْرَ تهكُّمٌ بهم، فيكون المقصودُ تأكيدَ النَّفي بصورةِ الحصر، ويُحتمَلُ أنَّه على ظاهرِه، أيْ: ريثما يتأمَّلونَ، فلا يُطيلونَ التَّأمُّلَ، فيكونُ المقصودُ من ذكرِه تأكيدَ قلَّةِ التَّلبُّث[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿تَلَبَّثُواْ﴾:

التَّلبُّثُ: اللُّبْثُ، أي: الاستقرارُ في المكان، والتَّعبيرُ به بصيغةِ المبالغةِ؛ للدَّلالةِ على شدَّةِ مُسارعتِهم وعدمِ تأخُّرِهم في تلبيةِ طلبِ الفتنة وإتيانِها، ريثما يكون السُّؤالُ والجوابُ من غيرِ توقُّف[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في التَّلبُّث:

عدمُ إبطاءِ المنافقين بالسَّعي في الفتنة

التَّلبُّثُ هنا مستعارٌ للإبطاء، أي: ما أبطَؤوا بالسَّعيِ في الفتنةِ، ولا خافوا أن تُؤخذَ بيوتُهم، والمعنَى: لو دخَلَتْ جيوشُ الأحزابِ المدينةَ، وبقيَ جيشُ المسلمين خارجَها - أيْ: مثلًا؛ لأنَّ الكلامَ على الفرض والتَّقديرِ - وسألَ الجيشُ الدّاخلُ فريقَ المُستأذِنين أن يُلْقوا الفتنةَ في المسلمينَ بالتَّفريقِ والتَّخذيل؛ لخَرجوا لذلك القصدِ مُسرعين، ولم يثبِّطْهمُ الخوفُ على بيوتِهم أن يدخلَها اللُّصوصُ أو يَنْهَبَها الجيش، إمّا لأنَّهم آمنون من أن يَلْقَوا سوءًا من الجيش الدّاخل؛ لأنَّهم أولياءُ له ومعاونون، فهُم منهم وإليهم، وإمّا لأنَّ كراهتَهم للإسلامِ تجعلُهم لا يكْترثونَ بِنَهْبِ بُيوتِهم[3].

بلاغةُ التَّعبير بالباء في ﴿بِهَآ﴾:

كثرةُ المعاني تَبَعٌ لتعدُّد معاني الباء

الباءُ في قوله: ﴿بِهَآ﴾ للتَّعديَةِ، أيْ: ما لبثوها، وما أخَّروها إلّا يسيرًا، أي: إلّا تلبُّثًا يسيرًا، أو إلّا زمانًا يسيرًا، وهو مقدارُ ما يأخذونَ به سلاحَهم، أو مقدارُ ما يُجيبون السُّؤالَ فيه، وكلاهما من بابِ التَّمثيل، والمُرادُ أنَّهم لو سألَهم غيرُك القتال، وهم في أشدِّ حال،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.

وأعظمِ البال؛ لَأسرعوا جدًّا، فضلًا عنِ التَّعلُّلِ باختلالِ البيوتِ مع سلامتها، كما فعلوا الآن.

ويجوزُ أن تكونَ الباءُ في ﴿بِهَآ﴾ للظَّرفيَّة على أنَّ ضميرَ ﴿دُخِلَتْ﴾ للمدينة، كما يجوزُ أن تكونَ الباءُ سببيَّة، والمعنَى على تقدير مضاف، أي: ولم يتلبَّثوا بسبب حفظها، ويجوزُ أن تكونَ الباءُ للمُلابسة، والضَّميرُ على كلِّ تقديرٍ للبيوت[1]، وجميعُ المعاني سائغةٌ؛ لأنَّها تُقوّي المعنى الأصل المُراد.

نكتة ذِكْر الضَّمير في ﴿بِهَآ﴾:

تنـوُّعُ المعـاني، واللفظ واحدٌ

الضَّميرُ في قوله: ﴿بِهَآ﴾ أي: بالفتنة[2]، أي: ما تلبَّثوا في فعلِ الفتنةِ، ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ للمدينة، أي: وما لبثوا بعد ارْتدادهِم إلّا يسيرًا، فإنَّ اللّهَ يُهلكُهم، ويُخرِجُهم بالمؤمنين[3]، ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ للبيوت، أي: ولم يتلبَّثوا في بيوتِهم لحفظِها إلّا يسيرًا[4].

بلاغةُ الاستثناء في: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾:

الاسْتثناءُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ مفرَّغٌ، يُظهرُ أنَّه تهكُّمٌ بهم، فيكونُ المقصودُ تأكيدَ النَّفي بصورةِ الاسْتثناءِ، ويُحتمَلُ أنَّه على ظاهرِه، أي: إلّا ريثما يتأمَّلونَ، فلا يُطيلونَ التَّأمُّل[5].

بلاغةُ حذفِ الموصوفِ في: ﴿يَسِيرًا﴾:

قصـدُ العمـومِ إلى كـلِّ المعاني الممكنةِ

قولُهُ تعالى: ﴿يَسِيرًا﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، ويُقدَّر هذا المحذوفُ بتقديراتٍ كثيرة، إما باعتبار الزَّمان، أيْ: ما تلبَّثوا بها إلّا زمنًا كثيرًا، وإما باعتبار المصدرِ، أيْ: ما تلبَّثوا بها إلا تلبُّثًا يسيرًا، وإمّا باعتبار الفاعل، أيْ: ما تلبَّثوا بها إلّا عددًا يسيرًا، وكلُّ هذه حاصلةٌ موجودةٌ في المنافقين.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 158.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 158.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 8/ 461.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 374.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.

نكتةُ تنكيرِ ﴿يَسِيرًا﴾:

جاء لفظُ ﴿يَسِيرًا﴾ نكرةً؛ للدَّلالةِ على أنَّهم يتأمَّلونَ، فلا يُطيلونَ التَّأمُّل، فيكونُ المقصودُ من ذكرِ ﴿يَسِيرًا﴾ تأكيدَ قلَّةِ التَّلبُّث[1]، وفيه دلالةٌ على أنَّهم لا يقصدونَ إلّا الفرارَ، لا حفظَ البيوتِ من المضارِّ[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 288.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 309.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»